

في نور محمد فاطمة الزهراء

وحاروا فيه! هو معضل بهم، على الحالين: رجل أو حلّ، خرج أو أقام. لكنّ أبا جهل جاءهم من لدنه بالرأي الذي طنّه وطنّوه يحسم الأمر، ويدراً الخطر الذي يخافون، قال لهم عدوّه: الرأي أن تأخذوا من كلّ قبيلة شاباً جليداً، حسيباً في قومه، نسيباً وسطاً، ثم يعطى كلّ فتىّ منهم سيفاً صارماً، ثم يفدون إليه، فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرّق دمه في القبائل، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً [762]! فارتضوا ما ارتآه، وراحوا يدبّرون لتنفيذ الائتمار. ولقي رسول الله أبا بكر، فقال له: «أُذن لي في الهجرة» [763]. قال ابن أبي قحافة وهو مشوّق: الصّحة يا رسول الله؟ - «الصّحة!». وامّحت آية النهار... وظهرت آية المساء. ثم أقبل الليل من قبّة الأفق، يتحدّر كالسيل على جبال مكة، ويدهن الدور والدروب بلونه الحالك السواد. حينئذ تسلّل الفتية الأجلاد من قريش، يؤمّهم الأشراف، تسلّل الأفاعي، وفي أيديهم الأسياف، يطبقون على بيت النبي من كلّ جانب، وينتشرون حولها بغير حسيب ولا هسهسة [764] إلاّ أن يكون للظلال وقع أقدام! لكنّ محمداً كان عالماً بما يفعلون، أفكان بصره يخترق إليهم الجدران؟ أو كانت له على كلّ امرئ منهم عينان لا تغفلان؟ * * *